وقفات مع موت خادم الحرمين الشريفين – جعل الله تعالى الفردوس الأعلى مثواه

١٤٢٦/٦/٣٠هـ

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله أمّا بعد :

فمعاشر المسلمين .. إن مواطنَ العبرِ والاتعاظِ كثيرةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد ، وإن في أحداثِ هذه الأيامِ وقفاتٍ ينبغي أن يُتأمَّل فيها ويُتعظ بها :

❖ الوقفة الأولى :

لّما كان المُلْكُ الدائمُ للهِ تعالى قبضَ اللهُ روحَ ملكِ هذه البلاد ، ورحل من هذه الدنيا الفانية إلى دار أخرى ، الله تعالى نسأل أن يجعلَه في روضةٍ من رياض الجنة ، وأن يجازيَه بالحسناتِ إحسانا وبالسيئاتِ عفوا وغفرانا .

وصدق الله تعالى [ومن أصدق من الله قيلا] ، [ومن أصدق من الله حديثا] ، [كل من عليها فان ❖ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام] ، [كل شيء هالك إلا وجه] ، [لكل نبأ مستقر] .

معاشر المسلمين .. ومن مقاماتِ التوحيدِ في هذا : أن يعلمَ العبدُ أنه مهما بلغ في الجاهِ والحسبِ أن مصيرَه إلى الموتِ ، وأن الله تعالى هو الحيُ الذي لا يموت .

معاشر المسلمين ..

❖ الوقفة الثانية :

ما يتعلق بجنازةِ الملكِ – رحمة الله تعالى – : فلقد كانت تلك الجنازةُ على السنةِ النبويةِ لم يصحبها بدعٌ قوليةٌ ولا بدعٌ فعليةٌ ، وهذا من أثرِ التوحيدِ الذي أنعم اللهُ تعالى به على أهلِ هذا البلدِ وحكامها ، فشكر اللهُ من قام بأمرِ الجنازةِ وجهزهَا .

ومن المشاهد أن كثيراً من رؤساءِ الدولِ وزعماؤها تظهر البدعُ الكثيرةُ في جنائزِهم ، وسببُ ذلك ضعفُ التوحيدِ في دولهم وعقيدتِهم فيتحملون بسببِ ذلك آثاما كثيرةً إذا أمروا بذلك أو رضوه وأقروه .

فلك اللهم الحمدُ على نعمةِ السنةِ ونبذِ البدعةِ .

معاشر المسلمين ..

❖ الوقفة الثالثة :

إقبالُ الناسِ من كلِ حدبٍ وصوبٍ ، يعزي بعضُهم بعضَا ، ثم إقبالُهم على مبايعةِ من ولاه اللهُ تعالى أمرَهم من أعظمِ نعمِ اللهِ تعالى في استقرار الأمرِ والأمنِ ودحرِ الفتنِ والشرِ ودحضِ إرجافِ المرجفين المتربصين لمواضع الفتنِ .

اللهَ تعالى نسأل أن يحفظَ علينا دينَنا وأمنَنا وأمانَنا وأن يكفينا فتن الشبهاتِ والشهواتِ .

معاشر المسلمين ..

❖ الوقفة الرابعة :

أن نعمةَ الأمنِ والأمانِ من أعظمِ نعمِ اللهِ تعالى على الناسِ ، [فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف] ، فالأمنُ على الدينِ

والعرضِ والنفسِ والمالِ والعقلِ هي الضروريات الكبرى التي اتفقت جميعُ الأديانِ السماويةِ على حفظِها وعقوبةِ من يحاول المساسَ بها .

معاشر المسلمين .. وهذه الأمورُ وغيرُها لا تكونُ وتتمُ إلا بوجودِ سلطانٍ يحكم ذلك ويضبطه بوازعِ الشرعِ وسوطِ العقابِ .

معاشر المسلمين .. كم من بلدٍ قامت فيها فتنٌ وأحداثٌ وصراعاتٌ عند موتِ زعمائِها ، قامت فتنٌ واضطربَ حبلُ الأمنِ فحلت الجرائمُ من هتكِ الأعراضِ وقتلِ الأنفسِ ونهبِ الأموالِ .

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية – رحمه الله تعالى – : (يجب أن يُعرف أن ولايةَ أمرِ الناسِ من أعظمِ واجباتِ الدينِ بل لا قيامَ للدينِ إلا بها ، فإن بنَي آدمَ لا تتم مصلحتُهم إلا بالاجتماعِ لحاجةِ بعضهم إلى بعضٍ ، ولا بد لهم عند الاجتماعِ من رأس) انتهى كلامُه – رحمه اللهُ تعالى – .

ونحمد اللهَ تعالى على حفظِ بلادِنا .

اللهم وفّق الراعي والرعية ، وزدهم تكاتفاً على الخير .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ..

معاشر المسلمين ..

❖ الوقفة الخامسة :

إن من واجبِ الرعيةِ على الراعي معرفَة حقهِ الذي جعله اللهُ تعالى له ومن ذلك : السمعُ والطاعةُ له في طاعةِ اللهِ تعالى : [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم] .

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ – رحمه اللهُ تعالى – : (والظاهر أن الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء).

وفي الحديثِ المتفقِ على صحتِه عن أبي هريرةَ – رضي اللهُ تعالى عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى اللهَ ، ومن أطاع الأميرَ فقد أطاعني ومن عصا الأمير فقد عصاني))

معاشر المسلمين .. ولعظيمِ شأنِ ضبطِ أحوالِ الناسِ أكّد أئمةُ أهلِ السنةِ – عليهم رحمةُ اللهِ تعالى – من التحذيرِ من شقِ عصا الطاعةِ ؛ لأن ذلك يسبب الفرقَة بعد الجماعةِ ، قال الإمام الطحاوي – رحمه الله تعالى – : (ولا نرى الخروجَ على أئمتِنا وولاةِ أمورِنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ولا ننزُع يدا من طاعتِهم ، ونرى طاعتَهم من طاعةِ اللهِ تعالى) انتهى المراد من كلامه – رحمه الله تعالى.

معاشر المسلمين .. ومن حق الراعي على الرعيةِ المناصحةُ له بالطرقِ الشرعيةِ والسعُي في بذلِ النصيحةِ بحسبِ ما يستطيعون ؛ لأن في ذلك صلاحا له ولهم ولبلادِهم .

أما التشهير بأخطاء الولاة وإشاعتها فذلك مما يهدم ولا يبني ومما يفرق ولا يجمع .

ولخطورةِ هذا الأمرِ قال سماحةُ الشيخِ الإمامِ ابنِ باز – رحمه الله تعالى – : (ليس من منهجِ السلفِ التشهيرُ بعيوبِ الولاةِ وذكرُ ذلك على المنابرِ ، لأن ذلك يُفضي إلى الفوضى ، وعدمِ السمعِ والطاعةِ في المعروفِ ، ويُفضي إلى الخوضِ الذي يضرُ ولا ينفع .

ولكنَّ الطريقةَ المتبعَة عند السلفِ : النصيحةُ فيما بينهم وبين السلطانِ ، والكتابةُ إليه ، أو الاتصالُ بالعلماءِ الذي يتصلون به حتى يُوجّه إلى الخيرِ .

وإنكارُ المنكرِ يكون من دونِ ذكرِ الفاعلِ ، فيُنكر الزنى ويُنكر الخمرُ ويُنكر الرِّبا من دونِ ذكرِ من فعله ، ويكفي إنكارُ المعاصي والتحذيرُ منها من غيرِ ذكرِ أن فلانا يفعلها لا حاكمٌ ولا غيرُ حاكمٍ .

ولما وقعت الفتنةُ في عهدِ عثمانَ – رضي الله تعالى عنه – قال بعضُ الناسِ لأسامَة بنِ زيدٍ – رضي الله تعالى عنه – : ألا تُنكِر على عثمانَ ؟ قال : أُنكِر عليه عندَ الناسِ ؟! لكن أُنكِر عليه بيني وبينه ، ولا أفتحُ بابَ شرٍ على الناسِ .

ولما فتحوا الشرَ في زمنِ عثمانَ – رضي اللهُ تعالى عنه – وأنكروا على عثمانَ جهرةً تمت الفتنةُ والقِتالُ والفسادُ الذي لا يزال الناسُ في آثارِه إلى اليومِ ، حتى حصلت الفتنةُ بين عليٍ ومعاويةَ ، وقُتِل عُثمانُ وعليٌ بأسبابِ ذلك ، وقُتِل جمٌّ كثيرٌ من الصحابةِ وغيرِهم بأسبابِ الإنكارِ العلني وذِكرِ العُيُوب

علناً ، حتى أبغضَ الناسُ وليَّ أمرِهم ، وحتى قتلوه ، نسأل اللهَ العافية) انتهى كلامه – رحمه الله تعالى – .

معاشر المسلمين ..

❖ الوقفة السادسة :

إن من حقِ الرعيةِ على الراعي أن يحكمَ بينهم بالعدلِ ، وأن يقتصَ لمظلومِهم من ظالِمِهم ، وأن يعرفَ لكلٍ حقه فيوقرُ كبيرَهم ويرحمُ صغيرَهم ويعرفُ حقَ علماءِهم .

ومن حقِ الرعية أن يقربَ الراعي بطانةَ الخيرِ التي تصلح الدينَ والدنيا ويجانب بطانةَ الشرِ التي تفسد الدينَ والدنيا .

فمتى قام الراعي بحق رعيتهِ وراقب اللهَ تعالى في سرهِ وعلنهِ وقام بذلك حسبَ قدرتهِ وجهدهِ برئت ذمتُه وطهرتْ ساحتهُ .

اللهم إن نسألك بأسمائِكَ الحسنى وبصفاتك العلى وباسمِكَ الأعظمِ الذي إذا سُئلت به أعطيت وإذا دُعيت به أجبت فنشهد أنك أنت اللهُ لا إله إلا أنت الأحد الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفوا أحد .

اللهم وفق وليَ أمرِنا لما فيه صلاحُ العبادِ والبلادِ ، اللهم اجعل قولَه سديدا وفعلَه رشيدا .

اللهم ارزقه البطانةَ الصالحةَ الناصحةَ التي تدله على الخيرِ وترغبه فيه ، وتحذره من الشرِ وترهبه منه .

اللهم اجعله ناصراً للسنةِ وأهلِها ، قامعاً للبدعةِ وأهلِها .

اللهم ادفع به فتنَ الشبهاتِ والشهواتِ .

دعوناك ربنا فأجبنا وسألناك خالقنا فآتنا سؤلنا .

اللهم ارحم سلفَه وارفع درجاتهِ في المهديين .

واخلفه في عقبهِ في الغابرين .